الأستاذ سليمان عليان

## ثورة الشيخ إبراهيم النصار ضد العثمانيين في جنوب لبنان

في بداية القرن التاسع عشر، شهدت منطقة جنوب لبنان واحدة من أعظم ثورات المقاومة ضد الاحتلال العثماني، وذلك بقيادة الشيخ إبراهيم النصار. كانت هذه الثورة حلقة هامة في سلسلة الحركات الشعبية التي اجتاحت الشرق الأوسط خلال تلك الفترة، وهي تعكس الصراع بين سكان المنطقة الذين سعوا للحفاظ على استقلالهم وتقرير مصيرهم، وبين إمبراطورية عثمانية كانت في أوج انحلالها، ساعيةً إلى السيطرة على الأراضي العربية من خلال استخدام قوى عسكرية قاهرة.

### أولاً: الظروف التاريخية المحيطة بالثورة:

لطالما كان جبل عامل، جنوب لبنان، يشكل قلبًا نابضًا للمقاومة في وجه أي إحتلال خارجي. ففي القرن الثامن عشر، ومع تراجع سلطة العثمانيين المباشرة، بدأت المنطقة تشهد تفاعلات معقدة بين قوى محلية متعددة، من مشايخ وأمراء وجيوش عثمانية. لقد كانت منطقة جبل عامل تعيش في فترة من الفوضى السياسية، حيث كان يتنافس عليها العديد من الأفراد على السلطة والنفوذ.

تولى الشيخ إبراهيم النصار، الذي ينحدر من أسرة دينية مرموقة، القيادة في هذه المنطقة بعد أن أدرك حجم الإستبداد العثماني وطبيعة تعاملهم القاسي مع السكان المحليين. وكانت التحولات التي شهدتها الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر تتيح فرصًا لبعض القوى المحلية للظهور والمطالبة بحقوقهم. كان النصار يرفض بشدة سياسات الحكم العثماني، التي كانت تفرض ضرائب باهظة وتجبر السكان على الإذعان الكامل لأوامر السلطان. وقد شهدت تلك الفترة إحتلالًا عثمانيًا قوياً عبر سلسلة من الحملات العسكرية الهادفة لإخضاع المنطقة، وهو ما دفع الشيخ إبراهيم النصار إلى الإعلان عن ثورة كبرى ضد تلك القوات الغازية.

## ثانياً: المعركة ضد العثمانيين:

كان الشيخ إبراهيم النصار يدرك أن القوة العسكرية العثمانية تفوق قوته بأضعاف، لذا اعتمد على أسلوب حرب العصابات والتمردات الصغيرة ضد الجيوش العثمانية. وقد إستغل دعم معظم سكان جبل عامل الذين كانوا يشتركون في رفضهم للوجود العثماني. تمكّنت قوات النصار من تنفيذ العديد من الهجمات الناجحة على قوافل الجيش العثماني، متسللين عبر الجبال الوعرة والمناطق النائية التي كانت توفر لهم ملاذًا آمنًا.

في عام 1771، وبعد أن بدأ العثمانيون بتكثيف حملاتهم ضد المناطق الجنوبية، نشبت معركة حاسمة في قرية(مدينة) النبطية بين قوات النصار وقوات الجيش العثماني. ورغم الشجاعة التي أظهرها الشيخ إبراهيم ورجاله، إلا أن تفوق العثمانيين في عددهم وعتادهم دفعهم إلى تحقيق نصر جزئي، لكنهم لم يتمكنوا من القضاء الكامل على الثورة. هذه المعركة أثبتت أن المقاومة اللبنانية، بقيادة النصار، لم تكن مجرد حركة عسكرية، بل كانت تعبيرًا عن إرادة شعبية قوية تتحدى الهيمنة الأجنبية.

## ثالثاً: الإستشهاد وتداعياته:

على الرغم من الهزيمة الجزئية التي تعرّض لها الشيخ إبراهيم في معركة النبطية، إلا أن ثورته لم تنتهِ مع ذلك. فقد استمر النصار في مقاومته حتى إستشهاده في معركة يارون في 1781، حيث سقط مع العديد من رجاله في مواجهة حامية مع قوات أحمد باشا الجزار. إستشهاد النصار كان بمثابة نقطة تحوّل في مسار الثورة، حيث إنطلق أبناء المنطقة بقيادة أبناء الشيخ، خاصة الشيخ فارس النصار، في تشكيل مجموعات مقاومة جديدة، ورغم قسوة الضغوط العثمانية، إستمرت تلك الثورات في إشعال فتيل الرفض للوجود العثماني في المنطقة.

## رابعاً: النتائج والتداعيات:

إن مقاومة الشيخ إبراهيم النصار ضد العثمانيين لم تكن مجرد صراع عسكري، بل كانت تعبيرًا عن إرادة شعبية للثبات أمام الظلم. وعلى الرغم من إستشهاد النصار، فإن الثورة ألهمت العديد من الحركات المناوئة للعثمانيين في المنطقة. في عام 1804، تم التوصّل إلى

**صلح بين قوات العثمانيين والثوار في جبل عامل، وهو الصلح الذي أوقف التوسع العسكري العثماني لفترة، لكنه لم يمنع إستمرار الإحتقان الشعبي في المنطقة، الذي إنفجر لاحقًا في ثورات أخرى.**

**إن ثورة الشيخ إبراهيم النصار كانت بمثابة دروس في الشجاعة والقيادة والتضحية. ورغم أن هذه الثورة لم تحقق إستقلالًا كاملًا للمنطقة، إلا أنها أسهمت بشكل كبير في الحفاظ على الهوية الوطنية للمنطقة، وأظهرت قدرة الشعب اللبناني على مقاومة الظلم والمطالبة بحريته وحقوقه.**

**هكذا كانت ثورة الشيخ إبراهيم النصار لحظة فارقة في تاريخ لبنان، تبرهن على أهمية المقاومة الشعبية في وجه قوى الإستعمار والتسلّط، وتؤكد على دور الفرد في إشعال روح الثورة الجماعية.**